

محرر بحوث العلوم الإنسانية والاجتماعية



الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي

خلال القرن 11هـ/17م

- رحلة يحيى الشاوي الملياني ت 1096هـ/1685م أنموذجا -

بقلم

د/ عبد القادر ربوح (*)

تاريخ الإرسال:

2018/04/22

تاريخ القبول:

2018/05/28

تاريخ النشر:

2018/06/01

ملخص

تعتبر الرحلات العلمية مصدرا مهما لمعرفة الحياة الثقافية والبيئات العلمية -مشرقا ومغربا- ففيها ذكر لأهم المراكز العلمية، ومجالس الدرس والتحصيل، بل إنها صورة حقيقية لشهود العيان عن الأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية، والاقتصادية وجغرافية للبلدان، بالإضافة إلى هذا تمثل زادا وفيرا لتراجم الكثير من العلماء الذين غفلت كتب التراجم عنهم. كما يمكننا القول أن علماء الجزائر وعلى رأسهم يحيى الشاوي الملياني، قد مثّلوا ذلك القطب الذي شد بعلمه وجرأته انتباه المشرق العربي بفضل تصوراته الفكرية وتراثه الفقهي والعقدي، كما أنه يمثل حلقة الوصل بين حواضر المشرق، والمغرب العربيين في شقه الثقافي والفكري خلال القرن 11هـ/17م.

الكلمات المفتاحية: الرحلة، الثقافة، التواصل، المشرق، المغرب، يحيى الشاوي.

المقدمة

تنوعت رحلات المغاربة نحو المشرق بتنوع أهدافها ومقاصدها، وتعددت بتعدد أسبابها وحوافزها، مما أدى إلى إنشاء رابط قوي ومتين بين ثقافة ومجتمع المغرب والمشرق، ولهذا تكمن أهمية الرحلات في كونها تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، فنجدها قد فتحت الآفاق واستقصت العادات البشرية، واحتضنت القوافل التجارية، ودونت فنون المجالس العلمية، واقتحمت الحدود السياسية، وطرقت أبواب الطرق الدينية، ورسمت حدود الخرائط الجغرافية لمختلف الأقطار الإسلامية.

(*) قسم العلوم الإنسانية - جامعة الجلفة. Dr.rabouhkader@gmail.com

والحق أن أدب الرحلات شكل نافذة معرفية من خلال التعرف على بلدان وأقطار عديدة، تجلى ذلك بوضوح مع أصحاب المدرسة الجغرافية الكلاسيكية في القرن 4هـ/10م مع الإصطخري وابن حوقل والمقدسي، وغيرهم الذين جمعوا الرحال والعلم الجغرافي. من هنا نجد أن الرحلة شكّلت اللحظة الأكثر انفتاحا وانطلاقا في المعرفة والثقافة العربية، لأنها اتخذت من التجربة والمشاهدة المباشرة أساسا لتدوينها ووصفها للأحداث. وقد كان للعلماء الجزائريين نصيب من الحظ في إثراء مكتبة الرحلات، وتعزيز لغة التواصل بين المشرق والمغرب، ونقل الثقافة الجزائرية نحو بلدان المشرق وخاصة بلاد الشام ومصر والحجاز، فعرفت هذه الرحلات الحجية أو الحجازية. وإدراكا منا لأهمية هذا الجانب في فهم تاريخ الجزائر خلال القرن 11هـ/17م، ارتأينا تناول جانب مهم في تاريخ الجزائر الحديث لاسيما الثقافي منه. ومنه جاءت مداخلتنا موسومة بـ: الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال 11هـ/17م - رحلة يحيى الشاوي الملياني ت 1096هـ/1685م أنموذجا-

أولا-الرحلة الجزائرية : قراءة في الدوافع و الأنواع و الأهداف

أ/ دوافع الرحلة:

يعد فن الرحلات¹ من أقدم فنون الأدب وأجلها نفعا لهذا اهتم بها علماء المغاربة عامة والجزائر خاصة، فكان من نتاج ذلك أن تركوا لنا رصيذا هاما يروي لنا رحلاتهم ومشاهداتهم، فهي تعتبر من أهم المصادر الأساسية لدراسة تاريخ أي منطقة، كما تكمن أهمية الرحلة في كونها مظهرا من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، فقد فتحت الأفاق المعرفية، واستنصت العادات البشرية، والحق أن الرحلات شكل نافذة أكثر أهمية في التعرف على بلدان و أقطار متعددة، و كما أنها هي العقد النفيس في التاريخ لأنها اتخذت من التجربة والمشاهدة المباشرة أساسا لتدوينها ووصفها، فكان الرحالة بمثابة إثنوغرافي أصيل، وبهذا يكون قد قدم لنا معطيات لا يمكن الاستغناء عنها لمعرفة مقطع هام مجهول من حياة شعب ما².

وتختلف الرحلات باختلاف الأغراض البشرية (السوسولوجية) التي تستدعي القيام بها، غير أن هناك أغراضا أخرى استدعت كتابتها بعد ذلك، فالرحالة لم يهتموا بالتدوين إلا في القرن 3هـ/9م، واستمر التأليف فيها إلى أن أصبحت فنا أدبيا مميزا³.

ويمكن حصر الدوافع التي أدت بالجزائريين إلى الإقدام على الترحال تاركين الوطن والأهل، متحملين في ذلك عناء السفر ومخاطره، فيما يلي:

- استقرار الوضع السياسي للولاية الجزائرية خلال هذه الفترة.

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

- ازدهار الحياة العلمية والأدبية ونشاط حركة التأليف بفضل تشجيع الحكام، مثل الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791م)، ومحمد الكبير باي (1779-1796م).
- تعلق الجزائريين ببلاد المشرق عامة والحجاز خاصة، والشوق إلى زيارة الأماكن المقدسة ورؤية قبر الرسول صلى الله عليه وسلم.
- غلب على الجزائريين آنذاك طابع التدين وقد تجلت مظاهره في انتشار الطرق الصوفية، والتي أصبحت تساهم بشكل فعال بالتأثير على المجتمع.
- كما كان الخطر الصليبي مظهرا آخر دفع بالجزائريين إلى الترحال، وحب الجهاد في سبيل الله.
- إلى جانب ذلك كان العثمانيون يحدون عن إتباع الطريقة الصوفية البكداش⁴، كما أنهم طبعوا وجودهم في الجزائر بصبغة دينية في إطار الجهاد ضد الكفار؛ ولهذا تعد الرحلات الحجازية من أهم العوامل التي ساهمت في تعزيز لغة التواصل بين المشرق والمغرب، لأنها حضيت بنصيب وافر من تدوين التجارب الروحية الأمر، الذي يجعل الفارئ يندمج مع حيثيات الرحلة، ويشعر بوجوده أثناء هذه الرحلة⁵.
- حرية التنقل بين أقطار المغرب والأندلس، بالرغم من الانقسام السياسي الذي ميز هذه الفترة.
- حفاوة استقبال طلبة العلم أينما حلوا، وتوفير لهم أماكن الإقامة والتكفل بهم عند الحاجة تطبيقا لما أوصى به الإسلام من الاهتمام بطلاب العلم.
- بساطة شروط الالتحاق بالمراكز التعليمية، وعدم تمييزها بين طلاب البلاد الأصليين والوافدين عليها من الأمصار الأخرى لا عرقيا ولا مذهبيا.
- ترحيب الشيوخ بطلاب العلم الوافدين عليهم، مثلما فعل ابن مرزوق الحفيد مع الفلصادي أثناء رحلته العلمية لتلمسان، وفعل ابن الحجر العسقلاني مع ابن مرزوق حين زار مصر.
- تمتع الطلبة بالحرية المطلقة في اختيار أساتنتهم، وكذا الانتقال من شيخ لآخر لإتمام التعليم.
- ب- أنواع الرحلة: أما فيما يخص أنواع الرحلة، والتي خلص إليها من خلال ما مرت به الدولة الإسلامية فهي كالآتي⁶:
- رحلات طلب النجدة كالهجرة والفرار من الفتنة أو الأذية.
- رحلات لطلب الدين كالرحلة لأجل طلب العلم أو الحج أو الرباط في سبيل الله.
- رحلات لطلب الدنيا كسفر التجارة والكسب.

- رحلات السفارة ويقصد بها العلاقات بين الدول.
 - رحلات سياحية أو بتعبير آخر حب الاستكشاف والاستطلاع، حيث تكون الرغبة في اكتشاف المجهول و المغامرة الهدف الأول من طلب الرحلة والقيام بها، فنجد الرحالة المسلمين لم يكتفوا بالارتحال من أجل العلم والتجارة فحسب بل "بدوافع من روح المغامرة وحب الاستطلاع والرغبة في درس أحوال الشعوب ومعرفتها.

ج/أهداف و فوائد الرحلة⁷:

إن للرحلة العلمية فوائد جليلة كان الطلبة يسعون للحصول عليها منها:
 - أخذ العلم مباشرة عن الشيخ، والجلوس إليه أهمية كبرى في التعليم، فالطالب لا يكتفي بقراءة مصنفات الأستاذ.
 - التعرف على مناهج التعلم والمستجدات الطارئة على التخصصات العلمية المختلفة والتحكم فيها.
 - التعرف على البلدان و الشعوب وثقافتهم و تقاليدهم وإمكانية التبادل الثقافي بين المسلمين.
 - أخذ الإجازات من شيوخ متعددين، وفي تخصصات علمية مختلفة هذا ما يدعّم المصادقية العلمية للطالب .

وكان شيخ ابن خلدون محمد بن إبراهيم الأبلي قد أشاد بفضل الرحلة و اعتبرها أصل العلم. وبهذا تنسخ المعارف أكثر في ذهن الطالب وتسهم بقدر كبير في نضوج فكره، وكلما زاد عدد الشيوخ الذين يلتقي بهم الطالب كلما عظمت فائدة الرحلة.⁸
 بهذا يمكن القول أن كتب الرحلات استطاعت أن تنقل لنا بعض ملامح عصرها من الجانب السياسي، وذلك لما يمر به الرحال من أحوال، ومحاولة نقلها بصورة واقعية في مؤلفاته⁹.

د/الرحلة عند الجزائريين :

بدأت الرحلة الجزائرية مبكرة نحو الأقطار والمراكز العلمية والأماكن المقدسة، فقد احدث الدين منعطفا كبيرا نحو التعارف وطلب العلم، وأداء الفرائض التي تقتضي التنقل والسفر، وتحمل الأعباء والأتعاب، ومن ثمة سار الجزائريون إلى تلبية كل مطلب يقتضي السفر، متحمّلين في ذلك المتاعب والصعاب، فارتشقوا طعم الأهوال من أجل التحصيل العلمي، وأداء فريضة الحج على وجه الخصوص .

لم يدون الجزائريون رحلاتهم الحجازية إلا منذ مدة قريبة جدا مقارنة بالمؤننين المغاربة الذين كانت رحلاتهم مكتوبة و متداولة منذ قرون طويلة، إلا أن هذا لا يعني غياب الرحالة الجزائريين وكونهم لم يسجلوا مشاهداتهم إلى سبب غياب التدوين، فضلا عن بقاء الكثير منهم في

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

البقاع المقدسة¹⁰.

سبق إلى أن أولى الرحلات القرن 11هـ هي رحلة الشيخ احمد المقرئ، و هي تحت عنوان رحلة إلى المشرق والمغرب ، وأيضاً كتب نفع الطيب، لكن هذا لا يعني انه لم يكن دور داخل الوطن. أما عن باقي العلماء الذين اثروا المغرب أمثال عيسى الثعالبي ويحيى الشاوي النائلي الملياني الذين مثلاً منارة عصرهما، وسنحاول إبراز أثارهما من خلال إجازاتهم العلمية ودروسهما ومخلفاتهم العلمية¹¹.

وقد أبدع العلماء الجزائريون في وصف أعظم مكان وصلوا إليه في رحلتهم قاصدين أداء فريضة الحج، فهاهو عبد الله بن عمر بن موسى البسكري وهو من علماء المالكية، حج البيت الحرام ، ثم استقر بالمدينة المنورة حيث نظم قصيدته المطولة (دار الحبيب)، وقد نظمها أواخر القرن 7هـ/13م، يصف فيها مكة والمدينة يقول في مطلعها¹²:

دارُ الحبيبِ أحقُّ أن تهواها	ونحن من طربٍ إلى ذكراها
وعلى الجفون إذ هممت بزورة	يا ابن الكرام عليك أن تغشاها
فلأنت إذ حللت بطيبة	وظللت ترتع في ظلال رباها
مُغني الجمال من الخواطر والتي	سلبت قلوب العاشقين حُلاها
لا تحسب المسك الزكي كعطرها	هيهات أين المسك من رباها

وخلال العصر العثماني اهتم الجزائريون بصورة واضحة خاصة بتدوين رحلاتهم إلى بلاد الحجاز و بلاد الحرمين، أما الرحلات الحجازية فيمكن التعرف عليها من خلال إجازات ودروس ومؤلفات علماء الجزائر في المشرق¹³.

ولقد كان طلاب المغرب الأوسط لا يكتفون بما يحصلونه من العلوم بل يشدون الرحال إلى مختلف الحواضر العلمية الكبرى آنذاك، سواء منها المغربية كجاية وتونس، وفاس، ومراكش أو المشرقية كالقاهرة ودمشق، وبغداد والمدينة المنورة¹⁴.

هذا وسجلت كتب التاريخ و التراجم رحلات علماء المغرب الأوسط خلال هذه الفترة اتجاه بلاد المشرق العربي، لأخذ العلوم، وخاصة علم الحديث الذي يتطلب البحث عن أسانيد رواياته، فهذا أبو عبد الله المقرئ ألف كتاب في الرحلة بعنوان نظم اللئالي، حيث استعرض فيه رحلته عبر مراكز المغرب الثقافية فذكر الأعلام الذين اخذ عنهم أو تذاكر معهم انطلاقاً من تلمسان، فبجاية، ثم تونس، ثم المغرب حيث دخل فاس ولقي بها عدداً من فطاحل العلماء. وقام أيضا ابن مرزوق الحفيد برحلة هو الآخر من أجل نفس المهمة، هذا إضافة إلى رحلات أفراد من الأسر العلمية التي عرفها المغرب الأوسط¹⁵.

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

وهذا وقد أسهمت الرحلة العلمية في توطيد التواصل الثقافي والحضاري لبلاد المغرب الأوسط مع غيرها من دول بلاد المغرب والأندلس والمشرق، كما ساهمت فريضة الحج في تنشيط الرحلات وتعزيز التواصل الثقافي بين هذه البلاد وغيرها؛ حيث كان ركب للحجاج يخرج سنويا من المغرب الأقصى مكونا من حجاج الأندلس والمغرب، وعند مروره بالمغرب الأوسط ينضم إليه حجاجه ومنها إلى الأماكن المقدسة بالحجاز، وكان هذا الركب يتكون من فئات المجتمع المغربي والأندلسي إلا أنه ضمَّ الكثير من العلماء وطلبة العلم، لهذا يمكن القول أن رحلة أداء فريضة الحج أدت دورا ثقافيا كبيرا، الذي يحتل المقام الثاني بعد الدور الديني، وكان من طلبه العلم من يستقر لسنوات طويلة ببعض الحواري بعد عودتهم من الحج¹⁶.

ثانيا- الأوضاع السياسية والثقافية في الجزائر والمشرق خلال القرن 11هـ/17م

أ/الوضع السياسي والثقافي والاجتماعي في الجزائر:

لقد كان لحالة التفكك السياسي للجزائر أواخر القرن 15 م وبداية القرن 16م أثره على تدهور الحياة الثقافية، فمع دخول العثمانيين للجزائر سنة 1518م، انصب اهتمامهم الرئيسي على استتباب الأمن والاستقرار فركزوا على الجانب العسكري والسياسي وأهملوا الجانب الثقافي. فالتأمل في الرحلة المغربية يجد العبدري قد قدّم لهذا العصر بقوله: "وقد تعطل في هذا العصر موسم الأفاضل، وتبدد في كل قطر نظام الفضائل وترقى أهلها أيادي سبا... وكيف لا تكون الدنيا على ما أصف وأقول وعلى وفق المشاهدين من نديم أوصافها والمنقول، وقد صار الملك الذي هو نظام الأمور وصلاح الخاصة والجمهور في أكثر الأرض منقوص الدعائم مهديم القوائم"¹⁷.

إن العبدري يقدّم لنا صورة توصيفية لما لحق الدول الإسلامية من مشرقها إلى مغربها، حيث تميزت بانتهاء دول قيام أخرى، نظام حكمها يفتقر إلى الأسس والدعائم القوية، كما نجد أيضا أن ابن خلدون قد تطرق إلى هذا الجانب السياسي من خلال محاولته الإمام بكل ظرف سياسي مر به، وبخاصة تلك الظروف المتعلقة بالدول الثلاث ومن بين ما جاء به في الرحلة حديثه عن بجاية بقوله: "كانت بجاية ثغرا لإفريقيا في دولة بني أبي حفص من الموحيدين. ولما صار أمرهم للسلطان أبي بكر بن يحيى منهم، واستقل بملك إفريقية، ولى في ثغر بجاية ابنه الأمير زكريا، وفي ثغر قسنطينة ابنه الأمير أبا عبد الله"¹⁸.

والثقافة في الجزائر فالعهد العثماني هي امتداد لتلك التي وضع أسسها العلماء الأوائل في المراحل السابقة، وقد تمثلت مظاهر هذه الثقافة بالدرجة الأولى في التعليم ومؤسساته المختلفة ورجاله¹⁹، فمن العلوم التي كانت منتشرة العلوم الشرعية، كالتفسير والقراءات وعلوم الحديث

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

كرواية الحديث ودرأيته والإثبات والإجازات إلى جانب العلوم الفقهية كأصول الفقه وفقه العبادات والمعاملات وغيرها من العلوم كعلم الكلام والمنطق والنحو، فقد كثرت هذه الدراسات وكثر إنتاج الجزائريين فيها²⁰.

وقد شاع في هذا العصر ظاهرة الحفظ فقد كان العلماء يحفظون أقوال ومؤلفات السابقين (الشروح والحواشي)، حفظا سطحيا دون تمعن ويرددونها ويفتخرون بحفظهم لها²¹. أما إنتاج الجزائريين في مجال الأدب فقد كان ضئيلا مقارنة بالعلوم الشرعية، وهذا يرجع إلى أن الحكام الأتراك كانوا لا يفقهون اللغة العربية ولا يتذوقونها، ومن ثمة عدم تشجيعهم لحركة الأدبية.

كما أن التعليم في الجزائر كان توجيهه دينيا أكثر منه أدبيا، خاصة في الزوايا التي لعبت دورا كبيرا في الجزائر في مجال التعليم²².

كما يلاحظ في العهد العثماني عدم عناية العلماء بالعلوم التجريبية والعقلية مثل الطب والحساب والفلك التي كانت الدراسة فيها منعدمة، وما كان متداول فهو أيضا لم يخرج عن تقليد السابقين، ولم يحدث فيه ابتكار وتطوير عكس ما كان يجري في أوروبا في هذه الفترة، فقد تحول علم الحساب إلى تعلم معلومات سطحية تهتم بتقسيم التركات وغيرها، أما الطب فتحول إلى ممارسة مجموعة من الخرافات والسحر والتمايم، أما الفلك فقد قل الاهتمام به، وهذا ما جعل الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر يحكمون على هذه العلوم أنها تحولت إلى ممارسات السحر والشعوذة، وإذا ما ظهر عالم مهتم بهذه العلوم اتهم بأنه غير منسجم مع روح العصر والمجتمع²³.

كما سيطر على الحياة الثقافية في العهد العثماني التصوف والدروشة، فابتعد بذلك التصوف عن مفهومه الذي يعني الصلاح والتقشف إلى الدروشة، وقد شاع حتى بين الفقهاء والولاة أنفسهم فتحوّلت الزوايا من مركزها الثقافي إلى الخرافة والانزواء²⁴.

ومن ابرز الحواضر العلمية في الجزائر نذكر:

- مدينة الجزائر حيث كان لتحولها لعاصمة سياسية للعثمانيين أثره في تطور الحياة العلمية والثقافية فيها، وإذ لم يكن في الجزائر جامعة إسلامية كالأزهر والزيتونة، فإن دروس جوامعها الكبيرة كانت تفوق وتضاهي دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين لتنوع الدراسات فيها ووجود علماء كبار بها مثل: سعيد قدورة وعلي بن عبد الواحد الأنصاري وكانت مقصدا للطلبة سواء من داخل أو خارج الجزائر²⁵. وقال ابن زكور يصف علماء مدينة الجزائر سنة 1094هـ/1682م " ... غرر أعلام ينجلي بهم الظلام، وشموس أئمة تتفرج بعم كل غمة، وتفخر

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... د. عبد القادر ربوح

بهم أحبار هذه الأمة من رجال كالجبال وأحبار كالأقمار...²⁶، ويقول عبد الرحمان الجامعي في رحلته المسماة التاج المشرق الجامع ليوافيت المغرب والمشرق يصف مدينة الجزائر فيقول في مدينة الجزائر: "... فهي والحمد لله إلى الآن دار الجوهر الفرد في الأدب وعلم العقل والنقل وتنبت العلماء والصالحين كما تنبت السماء البقل... وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء، وعلماء أدباء، وأعلام خطباء، مساجدها بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة...²⁷ .

ويعد للجامع الكبير بالعاصمة ومدرسته العليا شهرة كبيرة، فقد تميز بكثرة دروسه التي يقوم بها أبرز العلماء وكانت حلقات الدروس تصل إلى اثنتي عشر حلقة، وبلغ عدد الأساتذة الذين يلقون الدروس بالجامع والمدرسة تسعة عشر أستاذاً، بالإضافة إلى عدد من المساعدين.²⁸ أما قسنطينة فقد كانت مركز إشعاع علمي وثقافي في الشرق الجزائر فقد كانت من أكثر المدن عناية بالمؤسسات العلمية، ومن أهمها المدرسة الكتانية التي أنشأها صالح باي الملازمة لمسجد سيدي الكتاني سنة 1190هـ، ومدرسة سيدي الأخضر الملازمة لمسجد الأخضر التي تم بناؤها سنة 1193هـ.²⁹

وتلمسان التي تراجع دورها العلمي بسبب فقدانها مكانتها كعاصمة سياسية اشتهرت بكثرة مدارسها وعلمائها فقد كان بها على الأقل خمسة مدارس ثانوية وعالية، وأشهر منها في العهد العثماني مدرستين هما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام³⁰، وقد قام الباي محمد بن عثمان باشا بتجديد هاتين المدرستين، وأحيا ما أمات الزمان من آثارهما³¹ . هذا وقد كانت مازونة منارة علمية، فقد اتخذها العثمانيون كعاصمة لهم بالغرب الجزائري وتوجه إليها العديد من العلماء وأسست فيها العديد من المعاهد العلمية، وقد اشتهرت في المغرب الأقصى خاصة في الجهة الشرقية من نواحي وجدة وتازة، وشهادة مدرسة مازونة الفقهية تمكن حاملها من التوظيف في منصب القضاء، ومن أسباب إقبال الطلبة المدرسة الأوقاف الكثيرة لهذه المدرسة التي كانت تكفي حاجيات طلابها الضرورية³². وغيرها العديد من الحواضر مثل معسكر التي كان بها المدرسة المحمدية ومستغانم والمدينة وبونة (بلد العناب).

وبخصوص مراكز التعليم فتميزت بتعددتها سواء في الحواضر أوفي الأرياف ومنها:

أ - الكتاتيب: تعرف أيضا بالكتاب أو المسيد وأحيانا المكتب، هو تصغير لكلمة مسجد تعد أصغر وحدة في التعليم كانت بمثابة مرحلة التعليم الأولى أو المدرسة الابتدائية، وقد خصصت الكتاتيب لتحفيظ القرآن وتعليم القراءة و الكتابة وبعض مبادئ الحساب لأطفال³³.

ب- المساجد: كانت المهد الأول للتعليم فمنذ العهود الأولى للإسلام فقد زوجت بيت وظيفتها

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

الدينية (الصلاة) ووظيفة التعليم، واستمرت على هذا المنوال عبر مختلف الفترات الإسلامية، رغم ظهور المدارس في القرن 5هـ/11م.

ويلاحظ الانتشار الواسع للمساجد في مختلف المدن والحوضر الجزائرية خلال العهد العثماني، فتجد في المدينة الواحدة العديد من المساجد التي كانت تقوم بوظيفة التعليم كما لا تخلوا حتى الأرياف من المساجد، حيث انفردت كل مدينة بجامعها الأعظم، الذي يمثل معهدا للتعليم كالجامع العظيم في قسنطينة وجامع بجاية وجامع تلمسان والجامع الأعظم في مدينة الجزائر الذي كان خلال العهد العثماني مركزا للنشاط الديني والقضائي، وكان مقرا للمفتي المالكي والمجلس العلمي، ومنبرا للمناظرات بين العلماء³⁴.

ج- الزوايا: وتعرف الزاوية بأنها عبارة عن مجموعة من الأبنية ذات الطابع الإسلامي، وقد بنيت لأداء وظيفة دينية بحتة وكانت أحيانا مقرا لرؤساء الطرق الصوفية، وفيها تدرس العلوم الدينية كالفقه والعقائد والنحو وفنون البلاغة وغيرها، كما كانت ملجأ لعابري السبيل والفقراء³⁵. مثل مدينة الجزائر التي كان بها زاوية عبد الرحمان الثعالبي وزاوية عبد القادر الجيلاني، وزاوية محمد الشريف وغيرها، وفي قسنطينة بلغ عدد الزوايا 16 زاوية أهمها زاوية سيدي الكتاني وزاوية عبد المؤمن، وفي تلمسان بلغ عدد زواياها 30 زاوية مثل زاوية سيدي بومدين وزاوية محمد السنوسي، وتعتبر بلاد زاوية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا حيث تصل إلى 50 زاويا منها زاوية تيزي راشد وغيرها³⁶.

د- المدارس: وهي مؤسسات ثقافية تتمثل وظيفتها الأولى في تعليم العلوم الدينية كالفقه وغير الدينية كالحساب والفلك³⁷، وقد تختلط مع الزوايا والمساجد نظرا لأن بعضا لزوايا والمساجد كانت تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه خاصة الثانوي، وقد كانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا أو بالمساجد، كما وجدت مدارس مستقلة وقد عرفها أبو رأس الناصري: "أن المدرسة تبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه"، وقد كانت هذه المدارس يقصدها الطلاب لتعليم الثانوي والعالي مثل: مدرسة مازونة التي تأسست أواخر القرن العاشر، والمدرسة القشاشية في مدينة الجزائر، والمدرسة المحمدية في معسكر، كما تميزت المدارس في العهد العثماني أنها كانت تدرس مختلف العلوم السائدة في تلك الفترة³⁸.

ب/ الوضع السياسي والثقافي في المشرق:

لقد كانت بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي مرحلة تحول سياسي في المشرق العربي، حيث ظهرت الدولة العثمانية كقوة جديدة في المنطقة، ثم ما لبثت أن دخلت في صراع مع المماليك، حيث التقى العثمانيون مع المماليك في معركة مرج دابق شمال حلب سنة

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

922هـ الموافق لسنة 1517م وانتهت بهزيمة المماليك، ثم واصل العثمانيون السير نحو مصر، حيث التقى الطرفان في الريديانية قرب القاهرة في نفس السنة، وانتصر العثمانيون، ثم دخل العثمانيون القاهرة في بداية سنة 923هـ بقيادة السلطان سليم الأول، ثم دخلت الحجاز تحت السلطة العثمانية طواعية وهكذا أصبح المشرق تحت حكم جديد هو الحكم العثماني³⁹.

لقد كانت الحياة الثقافية والفكرية في العهد العثماني امتدادا للعصر المملوكي، غير أن الحياة الثقافية في عهدهم لم تسلم من التراجع والركود، وذلك راجع إلى اهتمام العثمانيين بالجانب العسكري وتعبئة الجيوش وبناء الأساطيل، فلم يقوموا بتطوير الأساليب العلمية التي وجدها بل بقيت على طريقتها الأولى، عكس ما كان يحدث في أوروبا خلال هذه الفترة⁴⁰.

وعن هذا التراجع يؤكد كارل بروكلمان أن الحياة العلمية على عهد العثمانيين كانت خلوا أو تكاد تكون من الأصالة والإبداع، فقد تميزت بالتقليد و الإلتحاق بالثابت للسابقين، وكان العلم عند المسلمين في هذا العصر يتمثل في التمكن من العلوم التي أنتجتها الأجيال السابقة⁴¹.

ومع هذا فقد انتشرت الدراسات العلمية بشكل كبير، وخاصة في مجال العلوم الشرعية التي كانت صاحبة الريادة من اهتمام العلماء، كعلوم الفقه والحديث والتفسير وغيره بالإضافة إلى علوم اللغة والنحو وعلم الكلام وغيرها، أما الإنتاج في هذه العلوم فقد كان يدور حول تفسير كتب الأولين وشرح المتنون⁴².

وقد حفل هذا العصر بشيوع التصوف والذي حظي بدعم رسمي من الدولة العثمانية، وهو ما ساهم في انتشاره، وتأسلت فكرة التصوف في المجتمع وأخذت الطرق الصوفية في إنشاء مؤسسات اجتماعية لها كالزوايا والأربطة كما انظم العديد من العلماء إلى هذه الطرق الصوفية وتولاهم للعديد من المناصب الدينية والعلمية المختلفة، وهو ما أدى إلى قيام الصوفية بدور أكبر في المجتمع⁴³.

أما دراسة العلوم التجريبية والرياضية كالطب والفلك والحساب، فأهملت دراستها ولم تلق أية عناية أو تشجيع أو رعاية⁴⁴.

وقد علق محمد بن عبد الكريم على هذا الوضع بقوله: "... أن الحركة العلمية قد وقفت عجلتها ونفذت طاقتها، وأصبحت اجترارا في العقائد والفقهيات وتزويقا في العبارات، وتقليدا للسابق ولو كان مخطئا، وكفرانا للاحق ولو كان مصيبا، وساد النقل، نبذ العقل..."⁴⁵.

أما الحواضر العلمية التي كانت موجودة في المشرق خلال هذا العصر، والتي كانت تمثل منارات للعلم، فقد اختلف مستواها العلمي من مكان لآخر، ومن أهم هذه الحواضر كانت الحواضر العلمية المصرية وعلى رأسها الأزهر⁴⁶ بالقاهرة، وكان يُدرّس بالأزهر إبان العصر

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

العثماني العلوم السائدة في ذلك العصر كعلوم الحديث والقراءات والتفسير واللغة والنحو والفلسفة والتاريخ وغيرها⁴⁷.

وكان من بين أسباب احتلال الأزهر لهذه المكانة، وانجذاب الطلبة والعلماء إليه، يعود لعدة أسباب منها الشهرة العلمية التي حظي بها الأزهر عبر العصور المتتالية وكذلك بسبب وجود علماء كبار من ذوي العلم والثقافة المتميزة. وكذلك لتوسطه العالم الإسلامي، ولوجوده في طريق الحج بالنسبة لسكان المغرب والسودان، إضافة إلى أوقاف الأزهر الكبيرة التي سمحت بتأمين أرزاق الطلبة من غذاء وملابس، وبالتالي تفرغ الطلبة الكامل للعلم والتعليم⁴⁸.

وقد كان الطلبة المقيمين بالأزهر يقيمون بالأروقة⁴⁹ التي كانت من مظاهر الخصوصية للتعليم في الأزهر، وكانت هذه الأروقة تحمل اسم بعض الأقطار الإسلامية كرواق الشاميين ورواق المغاربة هذا الأخير الذي يعدُّ من أقدم الأروقة في الأزهر وكان مخصصا لطلبة العلم من أبناء المغرب الإسلامي، وبه مكتبة وأماكن سكنى للطلبة⁵⁰. أما الحجاز (مكة المشرفة والمدينة المنورة)، فقد أصبحت ملتقى للمسلمين الذين يفدون إليها من مختلف الأماكن خصوصا في موسم الحج.

وقد كان العلماء المعتمدون في الحرمين الشريفين كبيرا حيث بلغ أربعين مدرسا بالحرم المكي، وثمانية عشر مدرسا بالمسجد النبوي على المذاهب الأربعة، أما العلماء غير المعتمدين فكان عددهم يفوق ذلك بكثير، وكانوا يحصلون على صدقات وهبات تمكنهم من أداء أديانهم العلمية في الحرمين الشريفين⁵¹.

أما المؤسسات التعليمية الأخرى فقد كان بمكة المكرمة توجد العديد من المدارس والزوايا، ومن أهم المدارس نذكر مدرسة السلطان قايتباي أو المدرسة الأشرفية⁵²، ثم جدها في القرن الثاني عشر السلطان محمود الأول وأنشأ بجوارها مدرسته المعروفة بالمحمودية⁵³، ومن أهم المدارس التي أنشأها العثمانيون في الحجاز، مدارس السلطان سليمان القانوني الأربعة التي أنشأها في الناحية الجنوبية من المسجد الحرام، وابتدأ في بنائها سنة 972هـ / 1564م، وأجرى عليها العديد من الأوقاف، وعيّن لها مدرسين ورتب لهم رواتب لهم وللطلبة، وتعتبر هذه المدارس أهم المدارس في مكة خلال العهد العثماني، وقد قسّم هذه المدارس على المذاهب حيث جعل للمذهب المالكي مدرسة وللمذهب الشافعي مدرسة والمذهب الحنفي مدرسة، أما المدرسة الرابعة فقد جعلت لتدريس الحديث النبوي، هذا إضافة إلى المدرسة المرادية التي أنشأها السلطان مراد الثالث ومدرسة آل المنوفي، ومدرسته محمد باشا التي أنشأها خلال القرن العشر الهجري، وتولى التدريس بها العديد من العلماء الكبار، ومدرسة داود باشا التي أنشئت في القرن العاشر الهجري⁵⁴.

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... د. عبد القادر ربوح

كما انتشرت بمكة خلال هذا العهد العديد من الزوايا، منها زاوية الشيخ عثمان البخاري وزاوية نعمة الله التي تولى التدريس بها عدة علماء كبار كالشيخ علي الأجهوري المصري والشيخ عيسى الثعالبي وغيرهم⁵⁵.

وقد كان الحرم المكي الشريف أهم مركز علمي، وتعددت حلقات الدروس فيه، وكانت الحلقات العلمية في بيت الله الحرام تعقد عند المقامات الأربعة ومقام إبراهيم وحجر إسماعيل وعند الأبواب الرئيسية للبيت الحرام والأروقة وحن المسجد الحرام، وكذلك عند المنبر⁵⁶. أما المدينة المنورة فإنها هي الأخرى حفلت بالعديد من المراكز العلمية كالمدارس والزوايا، ومن هذه المدارس نذكر مدرسة السلطان قايتباي، إضافة إلى عدة مدارس شيدها العثمانيون كمدرسة السلطان أحمد الثالث، ومدرسة بشير آغا⁵⁷ التي أنشأها سنة 1151هـ/1738م، وكذلك مدرسة السلطان الثالث ومدرسة السلطان عبد الحميد الأول والتي ألحقت بها مكتبة وتوجد في منطقة الساحة عند حارة الحرازة⁵⁸، هذا إضافة إلى عدة زوايا منها زاوية الشيخ عمر الخراشي المصري، فالزاوية الموجودة في مقام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان يدرس بها علوم الحديث⁵⁹. أما المسجد النبوي الشريف فكان أنشط هذه المراكز العلمية وأهمها، وكانت الدروس فيه تلقى داخل المسجد في عدة مواضع، عند أبواب المسجد وفي الروضة المطهرة وخلف الأعمدة ودخل الأروقة وعند المنبر وغيرها⁶⁰.

أما في بلاد الشام فقد كانت دمشق هي أهم حاضرة علمية واشتهرت بجامعها الأموي، الذي كان يدرس بها كبار العلماء وتعددت دروسه العلمية، كما وجد بها عدد كبير من المدارس وصل عددها إلى 159 مدرسة تقوم بتدريس مختلف العلوم الشرعية كالقرآن الكريم وعلوم الحديث والفقه، فضلا عن العلوم اللغوية كالنحو وغيرها من العلوم⁶¹.

وقد ذكر حكمت إسماعيل في تحقيقه لكتاب المواكب الإسلامية أن الحركة الفكرية في بلاد الشام وبدمشق خاصة كانت ناشطة حيث وصلت المساجد والمدارس في أداء دورها العلمي⁶²، ويعود السبب في كون بلاد الشام كانت أكثر نشاطا مما كانت عليه في مصر مثلا، ذلك أن طبقة العلماء في الشام كانت اقوي وأكثر تماسكا وتضامنا وحرصا على تقاليد الماضي وفكره، كما إن بلاد الشام كانت اقرب وعلى اتصال قوي بمركز الخلافة العثمانية بإسطنبول وتأثيراتها الثقافية⁶³. كما أن بعض الولاة العثمانيين في دمشق ساهموا في دفع وتشجيع الحركة العلمية والفكرية، وكمثال على ذلك فقد طلب يوسف باشا طوبال والي دمشق من مدرسي الجامع الأموي التقيد بالدروس، بينما كان بعضهم الآخر يجري تفتيشا على المساجد والمدارس من حين لآخر وكان بعضهم الآخر يوزع المال والأعطيات على العلماء والطلاب⁶⁴. وقد اشتهرت دمشق بمساجدها الكثيرة، ومن

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

أهمها في المجال العلمي الجامع المظفري⁶⁵، وجامع المرادية⁶⁶ وغيرها من المساجد⁶⁷.

ثالثاً- الشيخ يحيى النائلي : حياته ، إنتاجه العلمي ، إجازاته العلمية

أ/نبذة عن حياة الشيخ يحيى الشاوي الملياني⁶⁸:

هو يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكريا النائلي ولد بمدينة مليانة⁶⁹، والنايلي نسبة إلى قبيلة أولاد نائل بالقطر الجزائري، الملياني الشاوي تسمية لا نسباً الجزائري المالكي⁷⁰. غير أن المصادر التاريخية لم تشر إلى تاريخ ميلاده بالتحديد، فأشاروا إلى أن مولده كان في وائل القرن الحادي عشر الهجري، وهناك من أكد إن مولده كان سنة 1030هـ/1619م⁷¹. تلقى الشاوي تعليمه الأولي في مسقط رأسه مليانة وحفظ فيها القرآن الكريم وبعض المتون، ثم انتقل إلى زاوية أبهلول المجاجي⁷²، التي كان يقصدها الطلاب لدراسة الثانوية، فتلقى فيها الشاوي عدة علوم على يد شيخ الزاوية محمد بن محمد أبهلول، ثم توجه إلى تلمسان وأخذ مختلف العلوم على يد علمائها⁷³، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر، حيث قرأ على يد شيوخها مثل الشيخ سعيد قدورة مفتي الجزائر والشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري وغيرهم، وروى عنهم الحديث والفقه وغيره من العلوم وأجازه شيوخه⁷⁴، ومن شيوخه أيضاً عيسى الثعالبي، حيث ذكر المحبي أن الشاوي سار معه نحو ثمانية مراحل حتى أكمل قرأته عليه في علم المنطق أثناء رحلة الثعالبي للمشرق⁷⁵.

وبعد تحصيله لمختلف العلوم صار يحيى الشاوي شخصية علمية بارزة في مدينة الجزائر في فترة ما بين 1064هـ/1074هـ-1654م-1663م، فتصدر للتدريس وعقد مجالس للحديث والقراءة وشرح الكتب الستة، واشتهرت مجالسه وانتفع به خلق كثير من الطلبة في مدينة الجزائر⁷⁶. لقد قرر الشاوي مغادرة الجزائر نحو المشرق للاستزادة وطلب العلم فرحل عن الجزائر سنة 1074هـ/1663م، فاصد بيت الله الحرام فأدي فريضة الحج ولما قضى حجه، رجع إلى القاهرة واستوطن بها في نفس السنة⁷⁷، واجتمع في القاهرة بفضلائها وعلمائها وروى عن علمائها كالشيخ سلطان المزاحي⁷⁸، والشمس البابلي والنور الشيراملسي⁷⁹ وأجازه بمروياتهم⁸⁰، كما اخذ الشاوي عن الشيخ خير الدين الرملي⁸¹، وأجازه حيث أتصل به الشاوي عندما كان متوجه إلى الروم (يقصد بها القسطنطينية)⁸².

وفي القاهرة جلس للتدريس بالأزهر الشريف، واستمر على التدريس مدة، فدرّس مختصر خليل وشرح الألفية للمرادي وعقائد الشيخ السنوسي وشروحه وشرح الجمل للخونجي لابن عرفة في منطق، ثم بعد مدة تولى بمصر التدريس بالمدرسة الشرفية والسليمانية والصرغتمشية⁸³، كما تولى القضاء المالكي بمصر وتقلد إمارة ركب الحج المغربي مرتين⁸⁴.

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

ومن مصر زار الشاوي بلاد الشام مرتين في طريقه إلى الباب العالي وكانت الزيارة الأولى سنة 1081هـ والثانية كانت 1089هـ/1678م، وأما سبب زيارته الأولى فيذكرها مقديش، كما يذكر أن السلطان العثماني أن السلطان العثماني قد ولاء مشيخة الجامع الأزهر فكان كذلك إلى وفاته، إلا أن هذه الرواية ضعفها الكثير من المصادر التاريخية⁸⁵. وخلال هذه الزيارات حظي الشيخ يحيى الشاوي بتقدير أهل السلطة في استانبول، فقربه المفتي والشيخ الإسلام يحيى المنقاري⁸⁶، والصدر الأعظم كما حضر مجلس درس السلطان العثماني ونال أكرامه⁸⁷، ويظهر أن الشيخ يحيى الشاوي قد فقد في السنوات الأخيرة من إقامته في المشرق الحظوة التي نالها حيث أنقلب عليه أهل مصر، كما أنقلب عليه رجال الدولة الذين قربوه أول الأمر وكان ذلك حوالي سنة 1090هـ/1677م، فرفعت عنه وظائفه ومنها التدريس، وهذا يعود لعدة أسباب منها اكتسابه لعداوة بعض العلماء، وأخذ لوظائف بعض العلماء الآخرين، وكذلك انتقاده للمتصوفة والفلاسفة ودخوله معهم في الجدل والمهاترات، وقد ذكرها في بعض إجازاته⁸⁸.

إن استقرار الأحداث ومعرفة طبيعة تحركات الشيخ يحيى الملياني ترجح فريضة تنقله للمشرق الجزائري، طالبا العلم محتكا بالعلماء، إن كنا لحد الآن لم نملك ما يثبت هذه الفرضية، إلا أن عبد الرحمان الجيلالي صاحب كتاب تاريخ الجزائر العام ذكر انه عرج على قسنطينة في طريقه نحو المشرق العربي سنة 1074هـ/1663م، وكانت له وقفة فقهية مع عالمها بركات بن باديس عندما سأله عن حكم أكل لحم الطرائد التي تصطاد بالبندقية، ولما بلغ شخنا الناطلي سن الرابعة والأربعين من عمره تحركت همته نحو المشرق العربي حيث الرفعة العلمية وفحول العلماء، وقبل هذا كله ما تهفو له النفوس المتعطشة إلى المدينة المنورة وقبر الرسول والكعبة المشرفة، وهو بذلك يخطو خطوة قدواته من العلماء الجزائريين⁸⁹.

أما الشيخ الشاوي الملياني فقد شد الرحال سنة 1074هـ/1663م إلى المشرق العربي وقد كانت نيته الأولى أداء فريضة الحج، ويذكر العياشي أنه التقى به سنة 1074هـ/1663م بالإسكندرية وكان معه أهله، وبعد انقضاء موسم الحج قفل راجعا إلى مصر، وفي هذه المرة يريد الاستزادة من العلم، ونيل إجازة العلماء كما فعل أسلافه، وهناك قصد كبار العلماء وشيوخ العلماء كالبابلي والنور الشيرملي والسلطان المزاجي، وقد أجازوه بمروياتهم، ولم يكن دارسا فحسب بل معلما ومدرسا، فقد اخذ عنه أهل مصر علوما شتى، كما اجتمع عليه طلبة المغاربة بالأزهر للتدريس، وذاع صيته وعلا شأنه عند المغاربة إلى أن توصل إلى أرباب الدول وتصدر للإقراء بالأزهر، وقد تميز الشاوي على سابقه من علماء الجزائر بارتحاله إلى مقر الخلافة العثمانية، والتي كانت تعرف عند مؤرخينا باسم بلاد الروم⁹⁰.

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

وقد تبوأ يحيى الشاوي مكانة علمية كبيرة بين علماء عصره حيث أشاد العلماء واعترف بقوة حافظته وتمكنه في مختلف العلوم، حيث قال عنه تلميذه أحمد بن القاسم البوني "كان يحفظ شرح التتائي الكبير وشرح الإمام بهرام الوسط وغيرها بل يحفظ ستين كتابا من الكتب الكبار كمختصر ابن عرفة الفقهية، وهو ستة أسفار كبار، وقد حفز القراءان الكريم وهو ابن ثمانين سنين وأشتهر بالحفظ وحدة الذهن وجودة الإدراك، وقال عنه علي النوري السفاقي في فهرسته "أشعري الزمان وسيبويه الأوان"⁹¹.

ويقول عن محمود مقديش "كان يحيى الشاوي رجلا بارعا في الأصول والفروع وآداب البحث والصناعات الخمس من علم النظر وعلوم العربية والحديث وتفسير وغير ذلك، وكان سريع الجواب حاد الذهن والفتنة يسلك من كل باب أراد"⁹²، ويقول عنه المحبي "هو في الفقه أمامه وأما الأصول فهو فرع من علومه ومنطق مقدمة من مقدمات مفهومه... وبالجملة تقتصر همم الأفكار عن بلوغ أدنى فضائله..."⁹³.

وفي آخر أيامه حجَّ عبر البحر الأحمر، فمات وهو في السفينة يوم الثلاثاء 10 من ربيع الأول 1096هـ/ فيفري 1685م، وذكرت المصادر أن الملاحين أردوا لقائه في البحر لبعده البر عنهم، فهبَّت عليهم ريح شديدة قطعت شراع السفينة فقصدوا الر فدفنوه هناك، ولما وصل الخبر ابنه عيسى انتقل إلى المكان، ونقله لأي مقبرة القرافة الكبرى بترربة السادة المالكية التي كان قد رممها قبل ذلك، ولم يلبث ابنه عيسى إن مات بعده بحوالي ستة أشهر ودفن بمقبرة القرافة الكبرى بالقاهرة⁹⁴.

ب/ مساهمة التراث العلمي للعلامة الشاوي في التواصل الثقافي :

- ألف الشيخ الشاوي عدة مؤلفات شملت مختلف العلوم كالتوحيد والمنطق والنحو منها:
- حاشية على شرح أم البراهين (العقيدة الصغرى) للشيخ محمد السنوسي في عشرين كراسا⁹⁵.
- التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية في العقائد، وتوكيد العقد فما أخذ الله علينا من العهد على شرح أم البراهين⁹⁶.
- فتح المنان في الأجوبة الثمان⁹⁷.
- قرة العين في جمع البين، وهي رسالة في التوحيد⁹⁸.
- ارتقاء السيادة لحضرة شاه زادة، وهو كتاب أهداه الشاوي للسلطان محمد بن السلطان إبراهيم خان العثماني⁹⁹.
- النبيل الرقيق في حلقوم السَّاب الزنديق (ردود ومطارحات)¹⁰⁰.

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

- الحاكمة حاشية على تفسير ابن عطية والزمخشري¹⁰¹.
 أما في مجال العلوم اللغة العربية فنجد:
 - حاشية على شرح المرادي في النحو أيضا¹⁰².
 - نظم لامية في إعراب اسم الجلالة جمع فيه أقوال النحاة وشرحها شرحا حسنا¹⁰³.
 - شرح التسهيل لابن مالك في النحو¹⁰⁴.
 - مؤلف صغير في أصول النحو جعله على أسلوب الاعتراض للسيوطي¹⁰⁵.
 لقد استغرق سنوات في شرح الشروح وتحشية الحواشي، خاصة في الفقه والنحو، وأهم ما أشار إليه المؤرخون في هذا المجال حاشية على شرح الثنائي الكبير، حاشية على شرح الدماميني، حاشية على شرح عصام والكافية لابن الحاجب، شرح مقامات الحريري¹⁰⁶. فلقد ألفت يحيى الملياني ما يقارب العشرين مصنفا بالمشرق العربي، وكان فارسا لا يشق له غبار، وقد وصفه تلميذه العصامي إمام المعقول والمنقول، والفحل الذي لا يباري في فنون العلم¹⁰⁷.
 وقد مثل الشيخ يحيى الملياني منارة علمية وثقافية كبيرة أضاعت دروب المشرق خلال العقد الأخير من القرن 11هـ، وقد أتى عليه العلماء في قرنه، وزيادة على ما سبق كانت له نشاطات علمية وثقافية بين مصر والشام والحجاز تمثلت في دروسه العلمية في المساجد والمناقشات الفلسفية والفتاوى والآراء الفقهية، بالإضافة إلى نماذج شعرية في بعض الفنون العلمية، وهذا نموذج لشعره عند إجازته لعلماء الشام بالقسطنطينية يهاجم فيها الفلاسفة، والذين ينفون صفات الله تعالى بقوله¹⁰⁸:

أقول لكل فلسفي يديــــنه ألا لعنة الرحمان تعلق مزورا
 أ جبريلُ فلكِ عاشر يا عــــداتنا أعادي شرع الله نلتم تحيرا
 بأي طريق قلتم عشر عشرة ونفى صفات و القديم تحجرا
 حكمت على الرحمان حجرا محجرا ومتعكم خلق الحوادث دمرا
 وللشيخ الشاوي اجتهادات شرعية خاصة في الفقه والعقيدة، ومما جاء في توجيهه للاحتجاج بالقرآن الكريم قوله¹⁰⁹ :

فالظن بالمسلم في إقراره تصديقه للرسول في أخباره
 متبعا أدلة القرآن إرشادها أوضح البيان
 من منهج الكلام فيه حق من منهج الكلام فيه حق

ج/أدب الإجازة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر و المشرق:

إن الرحلة في حد ذاتها تعد أهم وسيلة في تحقيق التواصل والتفاعل الثقافي والحضاري

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

عموما بين المشرق والمغرب. لذلك فما تحمله الرحلات من إنتاج فكري وعلمي، سيكون حتما مشحونا بفكرة التواصل والاحتكاك، فبمجرد دراستنا لتاريخ مصر، انطلاقا من رحلات المغاربة، وهكذا فإنه من الصعب الفصل بين الجوانب التي تمثل التاريخ المصري المحض، والجوانب الأخرى التي تتركس ظاهرة التفاعل والالتقاء، ومثل ذلك الإجازة الشعرية، والإجازة الأدبية، (وستتناول هنا الإجازة العلمية).

فهي تعتبر الإجازة العلمية شهادة كفاءة أو تأهيل يستحق من خلالها المجيز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز بها، وفي العادة تكون بعد ملازمة الشيخ والقراءة عليه مدة قصيرة أو طويلة تصل أحيانا إلى أعوام، ومناظرته في مختلف المسائل، ويقرا عليه الطالب بعض الكتب كالبخاري والكتب الستة¹¹⁰، وبعض كتب الفقه، والتفسير وغيرها¹¹¹.

والإجازة إذن لطالب بأن يلقن نفس المعارف التي تلقاها عن شيخه بنفس السند¹¹² الذي يمتد عادة إلى عدة أجيال، ففي نهاية دراسته عن أي شيخ يكون من حق الطالب أن يستجيزه، وكلما كثر الشيوخ والإجازات كان ذلك دليلا على سعة إطلاعه وعمق معارفه¹¹³. كما توجد الإجازة في الطرق الصوفية فقد كان شيخ احدي الطرق الصوفية، يأذن لمريدها بالخلافة وان يأذن له في تلقين أوراها للمريدين أو في التربية والتعليم والإرشاد، وفق تعاليم تلك الطريقة¹¹⁴.

وقد كانت الإجازة في الأصل في علم الحديث أو ما يسمى طرق تحمل الحديث وأدائه¹¹⁵، وكانت تعني الإذن بالرواية لفظا أو كتابة، ثم انتقلت إلى مختلف العلوم الأخرى¹¹⁶. فالإجازة هي وسيلة من وسائل الأخذ و التحمل. تكون شفوية وكتابية، عامة وخاصة، نثرية ونظمية. لا تكتب إلا بعد استيفاء شروطها، وقد تصدر من عامة العلماء، فيتساهلون في منحها لكل راغب فيها حتى وإن لم يكن بالغا راشدا، ممن ينسحب عليه شرط المعاصرة، أملا في نشر العلم والرواية، وربط الصلات بين المشرق والمغرب¹¹⁷.

أما يحيى الملياني فقد اشتهر بطلب العلم في سن مبكرة، وأخذ عن الشيوخ فقرا عن والده وعلماء محلته فحفظ القرآن، وهو ابن ثمان سنوات، وتعلم مبادئ اللغة العربية وعلومها، واخذ الحديث والفقه والأصول عن شيوخ بلادته، وقرأ التفسير والحديث رواية ودراية، ولما اشتد عوده انتقل إلى الزاوية المجابية أين اخذ العلوم العقلية والنقلية على يد الشيخ محمد السعدي بن بهلول، وحاز على إجازتين علميتين منه، فكانت الإجازة الأولى علمية بعدما قرأ عليه الموطأ مالك وبعض من صحيح البخاري ومسلم، ورواية الكتب الثلاثة المذكورة بسنده عن شيوخ، ومما جاء في تلك الإجازة: "يقول عبد الله محمد السعدي بن محمد ابهلول: قرأ على العالم ابن زكريا سيدي يحيى الشاوي بعض موطأ إمامنا مالكا، وبعض صحيح البخاري وبعض صحيح مسلم،

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... د. عبد القادر ربوح

أدام الله توفيقه، وأثار مسلك الخيرات طريقه، وأجزت له رواية جميع الكتب المذكورة متلفظاً بالإجازة... وقرأ أيضاً بعض الشفاء أجزته في جميعه... أذنت له إن يروي هذه الكتب الأربع، بما لنا فيها من أسانيد المذكورة والتي اقتصرنا عليها منذ اقتصارا، وإن يروي كل ما يجوز لي وعني رواية بشرطه¹¹⁸، أما الإجازة الثانية فكانت صوفية، فقد أجاز شيخه ابهلول بمصافحة الفقيه محمد العربي يوسف الفاسي له بزوايه محمد بن أبي بكر الدلائي¹¹⁹.

1- نماذج من إجازات الشيخ يحيى الشاوي لعلماء المشرق

إجازة الشيخ محمد بن تاج الدين الرملي¹²⁰: لما مرَّ الشاوي بالرملة في أثناء زيارته إلى بلاد الروم اتصل بالشيخ تاج الدين الرملي، وسمع منه هذا الأخير الحديث المسلسل بالأولية، وقرأ عليه طرفاً من الكشاف وغيره، فأجازه بمروياته هو وولده، ومما جاء في تلك الإجازة:

أجزت أخانا الفاضل العلم الذي تسمى بمن في الناس في الحشر ينفع
وتجلا له والله ينجح قصده أبا للهدى والشخص بالاسم يرفع
وقال بذا يحيى ونجل محمد ومن معرب الأوطان والله ينفع

إجازة الشيخ أبو المواهب الحنبلي الدمشقي: لما قدم الشاوي الشام أثناء زيارته الثانية لبلاد الروم، حضر الشيخ أبو المواهب الحنبلي لدروسه في علوم العربية، والكلام، والمنطق، والتصوف، وقرأ عليه كتاب الحكم لأبن عطاء الله السكندري، وقرأ عليه التسهيل في العربية لأبن مالك، فأجازه ومن حضر معه بسائر مروياته¹²¹.

إجازة تقي الدين الحصيني¹²²: أجازه يحيى الشاوي بالإجازة التي منحه إياها شيخه محمد السعدي أبهلول في موطأ الإمام مالك، وصحيح البخاري ومسلم، والشفاء للقاضي عياض، وقد جاء في هذه الإجازة بعد الحمدلة والتصلية "أجزت الفقيه النبيه السيد تقي الدين الحصيني في هذه الكتب الأربعة وغيرها بهذه الأسانيد وبغيرها، قال ذلك وكاتبه يحيى الشاوي المغربي، لطف الله به." ¹²³.

إجازة المحبي وبعض علماء دمشق وهذا لما كان الشيخ يحيى الشاوي في بلاد الروم خلال زيارته الثانية لها، فصادف بها مجموعة من علماء دمشق فالتمسوا منه القراءة، فأذن لهم في ذلك فشرعوا في القراءة عليه وهم: المحبي والشيخ أبو الإسعاد بن الشيخ أيوب.¹²⁴
والشيخ زين الدين البصري¹²⁵، والشيخ عبد الرحمن المجلد¹²⁶، والسيد أبو المواهب سبط العرضي الحلبي¹²⁷، فقرأوا عليه تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي، مع حاشية العصام، ومختصر المعاني مع حاشية الحفيد الخطائي والألفية، وبعض شرح الدوائي على العقائد العضدية،¹²⁸ فأجازهم الشاوي جميعاً، بإجازات نظمها لهم¹²⁹.

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... د. عبد القادر ربوح

وقد احتفظ المحبي بإجازة الشيخ الشاوي له، وقد جاءت نظماً في خمسة عشر بيتاً بدأها بالحمد والصلاة على النبي، ثم وصف المحبي ببيت الهداية ومنازة العلم وبدر الشرع، ثم يذكر الكتب التي أجازها بها وهي: البخاري، وموطأ وغيرها، ثم هاجم الفلاسفة والمتكلمين ثم النصح والدعاء للمحبي، وختمها بالصلاة والسلام على الرسول الكريم. فقال: الحمد لله الحميد والصلاة والسلام على الطاهر المجيد وعلى آله أهل التمجيد.

أجزت الإمام اللوذعي المعبرا	أمينا أمين الدين روحا مصرا
سليل محب الدين بيت هداية	وبيت منار العلم قدما تقررا
بإقراءه متن البخاري الذي به	تقاصرت عنه من عداه وقصرا
موطأ شفاء و الشفاء لمسلم	إذا مسلما تقر به حقا تصدرا
وباقى رجال النقل حقا ميينا	وتفسير قول الله في الكل قررا
أجزت المسمى البدر في الشرع كله	كما صح لي فأترك مره تكذرا
و علم كلام خال عن أكاذب الفلا	سفة الضلال والعدل نكرا
أقول لكل فلسفي يدينه	ألا لعنة الرحمن تعلوا مزورا
أجبريل فلك عاشر ياعداتنا	أعادي شرع الله نلتهم تحيرا
بأي طريقا قلتهم عشر عشرة	ونفى صفات والقديم تحجرا
حكمتهم على الرحمن حجرا محجرا	ومنعكم خلق الحوادث دمرا
أبري الحبيب اللوذعي عن الردى	مجازا بدين الشرع كلا محررا
ولكن عليه النصح و الجد و النقى	و إن ناله أمر القضاء تصبرا
حماه إله العرش من كل فتنة	ونجاه من أسوء أسوء تسترا
وصل و سلم بكرة وعشية على	من به أحيا القلوب تحيرا ¹³⁰

و إجازة الشيخ عبد الرحمان الشامي: وهي إجازة في 15 بيتا نظمها له الشيخ الشاوي سنة

1090هـ / 1679م، ومما جاء فيها :

أجزت الذكي اللوذعي المعظما	بكل الذي لي من على متمما
بخاري و موطأ مسلم و شفيينا	وفقه ونحو والكلام و ما أنتما
وأصل ألفقه و الحديث وكل ما	تفسره الأعلام درا منظما
لأن كان أهلا للإجازة حيثما	بدا ذهنه الوقاد أو قد تكلما
فيا عابد الرحمان خذها مدينة	مفتحة الأبواب للخير مغنما
أجزتك يا شامي الديار بغرية	وكل غريب من غريب تعظما

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... د. عبد القادر ربوح

تمنطق بنحو جالسا ومحدثا وفسر بفقهاء الدين والدين عظاما¹³¹
 إجازة صالح وسليمان المحاسني¹³² : لما نزل الشاوي بدمشق سنة 1089هـ/1678م عقد بها
 دروس وكان من الحضرين لدروسه صالح وسليمان ولدا الشيخ إسماعيل المحاسني،¹³³ فقرأ عليه
 أوائل متن التوضيح أول الجامع الصحيح للبخاري وأجازهما بمروياته، والمصافحة المتصلة
 بالنبي صلى الله عليه وسلم¹³⁴.

إجازة الشيخ أحمد النخلي¹³⁵: هذه الإجازة ذكرها النخلي في فهرسته، وقال أنه أجازها بجميع
 مروياته ومؤلفاته، منها الترجيح في بيان ما للبخاري من التصحيح، وحواشي التسهيل لابن مالك
 والألفية، وفيما له من علم الكلام وفي إعراب الكلمة المشرفة¹³⁶.

أما عن إجازاته في باد الشام، فقد أجاز علمائها، ومن أهم هذه الإجازات :

-إجازة الشيخ محمد بن تاج الدين الرملي؛ إجازة الشيخ أبي المواهب الحنبلي؛ إجازة الشيخ
 محمد الكفيري؛ إجازة الشيخ تقي الدين الحسيني؛ إجازة الشيخ محمد الأمين المحبي؛ إجازة الشيخ
 عبد الرحمن الشامي؛ إجازة الشيخ سليمان المحاسني.

-إجازة مجموعة من علماء دمشق أمثال الشيخ إلياس بن إبراهيم الكردي، وإبراهيم بن حمزة
 الحراني، والشيخ محمد العمادي الدمشقي.

أما عن إجازاته لعلماء مصر فنجد :

-إجازة الشيخ نور علي السفاقي؛ إجازة الشيخ إبراهيم الفيومي. كما انه له إجازات لعلماء
 الحجاز منها : إجازة الشيخ عبد الملك العصامي؛ إجازة الشيخ احمد النخلي.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة المتواضعة نخلص إلى ما يلي:

-من هنا يمكن لنا القول، أن كتب الرحلات تكتسي أهمية بالغة، ذلك أنها تتعرض إلى جميع
 نواحي الحياة سواء العلمية أو الاجتماعية منها، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ
 الجغرافي، وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير، فالرحلات منابع
 ثرية لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر
 العصور".

-فيما يتعلق بتاريخ الجزائر فالمصادر هامة ومتنوعة، وكلها تعتبر مصادر في نظرنا،
 بالرغم من أن كثيرا منها دونه أجنب، الذين يعود لهم الفضل في ترك مادة خبرية عالية القيمة
 عن طبيعة الجزائر وعن مجتمعا وعاداته وتقاليده في الريف والمدينة، ومنه نقول أنها مصادر
 جزائرية بحكم أن كل وثيقة هي ابنة الوثيقة التي دونت فيها، وفي تقديري انه بهذه القناعة التي

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

يجب أن تكون لدى أغلبية الدارسين سيغريل تاريخ الجزائر ويستمر ثريا وعميقا، ولكن كثيرا من الدارسين الأكفيا ومن غيرهم من قد قصروا في البحث العلمي، وخاصة في ترجمة الأعمال التي تركها الأجانب¹³⁷.

-كما أن الاهتمام بأدب الرحلة، التي هي مصادر شهود عيان، والاهتمام بما تركه الآخرون من الرحلة من أخبار عن تاريخ الجزائر، يدفع الباحث النزيه إلى المزيد من الدراسة، لان دراسة مثل هذه الرحلات تنفع الباحث وتساعد على تقديم متعة شيقة للقارئ¹³⁸، فرحلة العلماء الجزائريين نحو المشرق مثلت لغة تواصل ثقافي حقيقي من خلال أدب الإجازة، والفتوى، وإقامة الحلقات والدروس في كبريات الحواضر العربية العلمية ممثلة في مساجدها ومؤسساتها التعليمية.

-شكّل يحيى الشاوي قطبا علميا شد بعلمه وجرأته انتباه المشرق خلال القرن 11هـ/17م، لكن تصوراته الفكرية وآرائه الفقهية وثروته اللغوية لم تأخذ حقيها من الدراسة والتحقيق، ولذا وجب علينا كدارسي للتاريخ الجزائري أن يملأ الفراغ الثقافي والاجتماعي من خلال التتقيب والبحث في تراث أعلامنا المعقول والمنقول منه.

هوامش الدراسة :

¹ لغة : تكاد المعاجم اللغوية أن تتفق حول معنى الرحلة، في أنها تعني الانتقال والانتقال من مكان لآخر، تتخذ الرحلة وسيلة لها وقد وردت في معجم لسان العرب بأن الرحلة من "رحل الرجل إذا سار، ورجل رحل وقوم رحل، ... والارتحال: الانتقال، والرحلة: اسم للارتحال... والرحلة بالضم: الوجه الذي تأخذ فيه وتريده". انظر: الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مادة رحل، دار الفكر سوريا، 1979م، ص497. ابن منظور: لسان العرب، مادة رحل، دار المعارف، القاهرة، دت، ج3، ص1608.

أما اصطلاحا: و تعد الرحلة إحدى وسائل نقل العلوم و المعارف من مصر إلى آخر، لذا كان التجوال في سبيل الدراسة والعلم أمرا شائعا بين طلاب العلم في المغرب الإسلامي، حيث لم تقف أمام طلبية العلم حدود تمنعهم من الترحال، والاستزادة منه، ولقاء الشيوخ و لأساتذة المشهورين في مختلف أنحاء بلاد العالم الإسلامي. انظر في ذلك محمد بوشقيف: تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف أ.د. عبدلي لخضر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، الجزائر، 2010-2011م، ص75.

² محمد افرخاس : رحلات المغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل، الإمارات العربية، دت، ص4.

³ سميرة أنسعد : صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني، مجلة التراث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع97، 2005م، ص104.

⁴ البكداشية طريقة صوفية تنسب الى الحاج بكداش بالأناضول، ارتبط بها تأسيس الجيش الانكشاري. انظر : فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق حقي إحسان، ط5، دار النفائس بيروت، 1986، ص122.

⁵ قروود أمحمد : الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

- معهد التاريخ، الجزائر، 2010، ص56.
- ⁶ لبنى لوانسة: النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين 7-8هـ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي القديم، إشراف أ.د. محمد زرمان، قسم اللغة العربية، باتنة، 2013-2014م، ص45.
- ⁷ بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص 76.
- ⁸ نفسه، ص75.
- ⁹ لبنى لوانسة، المرجع السابق، ص27.
- ¹⁰ سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ج4، ص210.
- ¹¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج2، ص388.
- ¹² زهري وليد: أدب الرحالة الجزائريين إلى مكة والمدينة، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع1، 2012م، ص163.
- ¹³ سعد الله، أبحاث وآراء، ج4، ص210.
- ¹⁴ بوشقيف، المرجع السابق، ص75.
- ¹⁵ نفس المرجع، ص77. و لعل من أشهر هذه الأسر: أسرة المرازقة وآل المقرري وآل الشريف والعبقاني، وغيرهم.
- ¹⁶ نفس المرجع، ص77.
- ¹⁷ لبنى، المرجع السابق، ص26.
- ¹⁸ نفسه، ص26.
- ¹⁹ أرزقي شويتام: (المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519م - 1830م) ، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف عمار بن خروف، (نوقشت بقسم التاريخ جامعة الجزائر، 2005 / 2006) ، ص 318 ، 319 .
- ²⁰ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500م - 1830م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان، ط1 ، 1998 ، ج2 ، ص 9 .
- ²¹ نفس المرجع، ج2 ، ص10.
- ²² ابن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر، 2007م، ص56.
- ²³ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2 ، ص401.
- ²⁴ رشيدة شدرى معمري: (العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1671م/1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، تحت إشراف فلة موساوي القشاعي (نوقشت في قسم التاريخ في جامعة الجزائر 2005م/2006م) ، ص33.
- ²⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 273.
- ²⁶ محمد بن ميمون الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007، ص52.
- ²⁷ المصدر نفسه: ص55.
- ²⁸ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1 ، ص 282-283.
- ²⁹ نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر (من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي) ، دار
- الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

- الحضارة ، الجزائر ، 2006 ، ص219.
- ³⁰ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1 ، ص274.
- ³¹ أحمد بن سحنون الراشدي : الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي ، اعتنى به عبد الرحمان دويب ، عالم المعرفة ، الجزائر ط1 ، 2013 ، ص : 71 .
- ³² المهدي البوعبدلي : جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن العاشر الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري ، جمع وإعداد عبد الرحمان دويب ، عالم المعرفة ، الجزائر ، ط1 ، 2013 ، ص : 90-94.
- ³³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص276-277.
- ³⁴ رشيدة شدرى، المرجع السابق ، ص51-52.
- ³⁵ أحمد مريوش: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 الجزائر ، 2007 ، ص149-150.
- ³⁶ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص263، 265.
- ³⁷ أحمد مريوش، المرجع السابق، ص15.
- ³⁸ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص279-280.
- ³⁹ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (العهد العثماني) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، ط 3 ، 1991، ج8 ، ص102-103
- ⁴⁰ نفس المرجع، ج8 ، ص120.
- ⁴¹ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ، تحقيق نبيلة فارس و منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ط9 ، 1981، ص482.
- ⁴² محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفخ الطيب، ص84-85.
- ⁴³ محمد علي فهم بيومي: دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني(1517م / 1805م)، دار القاهرة ، مصر، ط1، 2006، ص584-585.
- ⁴⁴ أبو العباس أحمد المقري: رسائل المقري، تح أسماء القاسمي الحسني، دار الخليل القاسمي، بوسعادة، الجزائر، ط1، 2008، ص85
- ⁴⁵ محمد بن عبد الكريم، المقريالمرجع السابق وكتابه نفخ الطيب ، ص78.
- ⁴⁶ الجامع الأزهر أسسه الفاطميون عندما دخلوا مصر في عهد المعز لدين الله الفاطمي ، حيث أسسوا مدينة القاهرة، وأنشأوا الجامع الأزهر سنة 359هـ/969م ، و الذي افتتح باقامة أول صلاة فيه سنة 361هـ / 971م، ومنذ ذلك التاريخ حافظ الأزهر على وجوده منارة للحياة العلمية و جامعة للعلوم الإسلامية عبر العصور. محمد بيومي، المرجع السابق، ص27.
- ⁴⁷ نفس المرجع، ص28.
- ⁴⁸ نفس المرجع، ص28.
- ⁴⁹ الأروقة : جمع رواق وهو مكان في احد جوانب الجامع الأزهر يكون مخصص لسكنى الطلاب وتدریس العلوم

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

- المختلفة. محمد بيومي: المرجع السابق، ص 30.
- ⁵⁰ نفس المرجع، ص 29-30.
- ⁵¹ نفس المرجع، ص 254-250.
- ⁵² المدرسة الأشرافية: وهي المدرسة التي أنشأها السلطان المملوكي الأشرف قايتباي سنة 884هـ / 1479م. ا. محمد بيومي، المرجع السابق، ص 209.
- ⁵³ نفس المرجع، ص 209.
- ⁵⁴ نفس المرجع، ص 210-215.
- ⁵⁵ نفس المرجع، ص 246.
- ⁵⁶ نفس المرجع، ص 254.
- ⁵⁷ وهي عبارة عن مبنى يتألف من طابقين على شكل مستطيل، وفيه ثلاثون غرفة وألحقت بها مكتبة، وقد أوقفها صاحبها لطلاب العلم من الأتراك. بيومي، المرجع السابق، ص 218.
- ⁵⁸ نفس المرجع، ص 217-219.
- ⁵⁹ نفس المرجع ص 248.
- ⁶⁰ نفس المرجع ، ص 254.
- ⁶¹ لزغم فوزية، المرجع السابق ، ص 269.
- ⁶² محمد بن عيسى الصالحي الدمشقي : المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، تحقيق حكمت اسماعيل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا ، 1992، ج1، ص 93.
- ⁶³ المقري، رسا ئل المقري، ص 86.
- ⁶⁴ محمد بن عيسى الصالحي، المصدر السابق، ج1، ص 94 .
- ⁶⁵ وهو الجامع المشهور بجامع الحنابلة ، شرع في بنائه سنة 598هـ / 1202م الشيخ أبو عمر محمد بن قدامة المقدسي ، ثم أكمل بنائه الملك المظفر. نفس المصدر، ص 358.
- ⁶⁶ وهو جامع مراد باشا و الذي يعرف باسمه ، والذي كان واليا على دمشق سنة 998هـ / 1590م . الصالحي، المصدر السابق، ص 360 .
- ⁶⁷ نفس المصدر، ص 358-360.
- ⁶⁸ الغالب على وصف الشيخ يحيى الشاوي أو يحيى الشاوي الملياني، أما النائلي فهو غير شائع في المصادر، للمزيد أنظر : محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج1، ترجمة 1251، ص 458. عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، 379. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهبيية، مصر، دت، ج4، 486. إسماعيل باشا البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، دار إحياء التراث العربي، لبنان، دت، مجلد2، ص 619. عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية (1661-1663م)، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، دت، مج2، ص 478.
- ⁶⁹ المحبي، المصدر السابق ، ج4، ص 486.

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

- ⁷⁰ عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص 1132.
- ⁷¹ عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 1995، ص 302.
- ⁷² هي زاوية مجاعة بالقرب من تنس بضواحي شلف، اشتهرت بنشر العلم في حياة الشيخ محمد بن علي، فكانت تشد إليها الرحال وبعد وفاته، قام بأمر الزاوية إخوته وأولاده وأحفاده، وكانت لهم مكانة لدى الحكام العثمانيين بالجزائر. لزغم فوزية، المرجع السابق، ص 324.
- ⁷³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 103.
- ⁷⁴ المحبي، المصدر السابق، ج4 ص 486.
- ⁷⁵ نفس المصدر، ج3 ص 241.
- ⁷⁶ أمحمد قرود، المرجع السابق، ص 156.
- ⁷⁷ المحبي، المصدر السابق، ج4، ص 486.
- ⁷⁸ هو سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل المزاحي الشافعي المصري ولد سنة 985هـ، اخذ عن النور الزبدي واحمد بن خليل السبكي، وأجيز بالفقهاء والتدريس، وتصدر في الأزهر للتدريس وأخذ عنه الكثير من العلماء مثل الشبراملسي والبابلي، توفي سنة 1075هـ. المحبي، المصدر السابق، ج2، ص ص 210-211.
- ⁷⁹ علي بن علي أبو الضياء نور الدين الشبراملسي الشافعي القاهري ولد سنة 998هـ بشبرا ملس أخذ عن الشيخ عبد الرحمن المناوي والشمس الشوبري، من مؤلفاته حاشية على المواهب اللدنية، وحاشية على شرح الشمائل لابن حجر العسقلاني وغيرها توفي سنة 1087هـ. المحبي، المصدر السابق ج3، ص ص 174-176.
- ⁸⁰ نفس المصدر، ج4، ص 486.
- ⁸¹ هو خير الدين بن احمد بن عبد الوهاب، الأيوبي، الرملي، ولد بالرملة بفلسطين وقرأ بها، ثم انتقل إلى مصر ثم عاد إلى بلده وجلس به لتدريس والإفتاء، كان شيخ الحنفية في عصره من مؤلفاته حاشية على منح الغفار وحاشية على شرح الكنز للعيني. المحبي، نفس المصدر ج2، ص ص 134 137 138. الكتاني، المرجع السابق، ص 386.
- ⁸² المحبي، المصدر السابق، ج2، ص 138.
- ⁸³ نفس المصدر، ج4، ص 487.
- ⁸⁴ لزغم فوزية المرجع السابق، ص 303.
- ⁸⁵ محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ الأخبار، ج2، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1988م، ص 383.
- ⁸⁶ هو يحيى بن عمر المنقاري الرومي شيخ الإسلام تولى التدريس في القسطنطينية ثم تولى قضاء مصر سنة 1064هـ ثم قضاء مكة كما تولى التدريس بالمدرسة السليمانية بمكة، ثم تولى منصب شيخ الإسلام بالقسطنطينية من مؤلفاته حاشية على شرح البيضاوي توفي سنة 1088هـ. المحبي، المصدر السابق، ج4، ص ص 477-478.
- ⁸⁷ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 105.
- ⁸⁸ لزغم فوزية، المرجع السابق، ص ص 305-306.
- ⁸⁹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 109.
- ⁹⁰ العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 478. وقد ورد ذكرها أيضا ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 458.

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... د. عبد القادر ربوح

- ⁹¹ الكتاني فهرس الفهارس ج2 ص 1133.
- ⁹² محمود مقديش، المرجع السابق ج2 ص 380
- ⁹³ المحبي، المصدر السابق، ج 04 ص 486.
- ⁹⁴ عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية (1661-1663م)، حققها سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، ط1، دار
السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006م، ص 487. المحبي، المصدر السابق، ج 04 ص 488. ابن مخلوف،
المصدر السابق، ج 1، ص 458. سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 108. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من
صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980م، ص 187.
- ⁹⁵ المحبي، المصدر السابق، ص 488. هدية العارفين، ص 533. ابن مخلوف، المصدر السابق، ج 1، ص 458. عادل
نويهض، مرجع السابق، ص 187. سعد الله، المرجع السابق، ص 109.
- ⁹⁶ نفس المرجع، ج 2، ص 109.
- ⁹⁷ نفس المرجع، ج 2، ص 109.
- ⁹⁸ نفس المرجع، ج 2، ص 109.
- ⁹⁹ هدية العارفين، المصدر السابق، ص 533. نويهض المرجع السابق، ص 187.
- ¹⁰⁰ إسماعيل باشا، المصدر السابق، مجلد 2، 619. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 02 ص 109. هدية
العارفين، المصدر السابق، ص 533. نويهض المرجع السابق، ص 187.
- ¹⁰¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 109. نويهض، المرجع السابق، ص 187.
- ¹⁰² المحبي، المصدر السابق، ص 488. هدية العارفين، ص 533. نويهض المرجع السابق، ص 187. سعد الله، المرجع
السابق، ص 109.
- ¹⁰³ المحبي، المصدر السابق، ص 488. ابن مخلوف، المصدر السابق، ج 1، ص 458. نويهض، المرجع السابق،
ص 187. سعد الله، المرجع السابق، ص 109.
- ¹⁰⁴ هدية العارفين، المصدر السابق، ص 533. ابن مخلوف، المصدر السابق، ج 1، ص 458.
- ¹⁰⁵ نفس المصدر، ج 1، ص 458. نويهض، المرجع السابق، ص 187. سعد الله، المرجع السابق، ص 109.
- ¹⁰⁶ نقروء، المرجع السابق، ص 176-177.
- ¹⁰⁷ نفس المرجع، ص 172.
- ¹⁰⁸ الحفناوي أبو القاسم : تعريف الخلف رجال السلف، مؤسسة الفنون المطبعية، الجزائر، 2007م، ج 1، ص 224.
- ¹⁰⁹ قروء، المرجع السابق، ص 185.
- ¹¹⁰ الكتب الستة وتسمى أصول الستة وهي : كتب الحديث الستة ، صحيح البخاري، صحيح مسلم ، وسنن أبي داود،
وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، عند المشرق وموطأ مالك بدلا من سنن ابن ماجه عند علماء
المغرب . محمد أبو الليث الخير آبادي: معجم مصطلحات الحديث وعلومه وأشهر المصنفين فيه، دار النفائس،
عمان الأردن، ط1، 2009 ، ص 21 .
- ¹¹¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 39-40
- ¹¹² السند: لغة: هو ما يستند إليه أو يعتمد عليه من حائط أو غيره ، ويقال فلان سند أي معتمد، واصطلاحا : وهو
الإخبار عن طريق المتن، وقيل: هو حكاية طريق المتن. والسند هو أيضا : الطريق الموصل إلى المتن، أو هو

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... د. عبد القادر ربوح

- عبارة عن الرواة الذين رووا المتن..الخبر أبدي، المصدر السابق، ص73.
- ¹¹³ إبراهيم حركات: التيارات السياسية والفكرية في المغرب (خلال قرنين ونصف قبل الحماية) ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء المغرب ، ط02 ، 1994 ، ص 34 .
- ¹¹⁴ لزغم فوزية: المرجع السابق ، ص 16 .
- ¹¹⁵ طرق تحمل الحديث وهو أخذ طالب الحديث عن الشيخ وتلقيه منه بأحدي الطرق التحمل وهي السماع من لفظ الشيخ ، والقراءة على الشيخ ، الإجازة ، والمناولة ، والكتابة ، والإعلام ، والوصية ، والوجادة . الخبر أبدي : المصدر السابق، ص33.
- ¹¹⁶ مصطفى ضيف، المرجع السابق ، ص 09.
- ¹¹⁷ المقرئ ابو العباس : الرحلة ن تحقيق محمد بن معمر، منشورات مخطوطات الحضارة الإسلامية بوهران، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، الجزائر، 2004م، ص111-115.
- قرود، المرجع السابق، ص154.¹¹⁸
- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص11944¹¹⁹
- ¹²⁰ هو محمد بن تاج الدين بن محمد المقدسي الاصل الرملي المولد والنشأة الحنفي يفتي الرملة أخذ في بلده ثم رحل إلى مصر وأخذ بها عن السلطان المزاحي والبابلي وغيرهم توفي سنة 1097هـ. المجبي، المصدر السابق، ج03، ص 411.
- ¹²¹ أمحمد قرود، المرجع السابق، ص 175.
- ¹²² تقي الدين بن محمد بن شمس الدين بن أحمد بن محمد، الحسبي، الحسيني، الشافعي، الدمشقي، ولد بدمشق سنة 1053هـ، وأخذ العلم عن عدة شيوخ منهم عبد الباقي الحنبلي توفي سنة 1129هـ بدمشق.
- ¹²³ لزغم فوزية، المرجع السابق، ص 308.
- ¹²⁴ هو أبو الإسعاد بن أيوب الخلوئي، الدمشقي، الحنفي، نزيل القسطنطينية من كبار علمائها ومدرسيها، ولد بدمشق سنة 1053هـ أخذ عن عدة مشايخ منهم الشيخ إبراهيم الفتال .
- ¹²⁵ هو الشيخ زين الدين بن محمد بن زكريا بن خليل الشهير بالبصروي، الشافعي، الدمشقي، ولد سنة 1039هـ، أخذ عن عدة مشايخ منهم خير الدين الرملي، تولى الافتاء الشافعي في القدس، كما تولى التدريس بالمدرسة الصلاحية بالقدس، توفي سنة 1102هـ، المرادي، المصدر السابق، ج02، ص ص 120 123.
- ¹²⁶ هو الشيخ عبد الرحمن بن محي الدين السليمي، الحنفي، الدمشقي، المعروف بالمجلد ولد سنة 1030هـ، قرأ على جماعة من العلماء منهم محمد الكردي، وعبد الباقي الحنبلي، تولى التدريس في الجامع الأموي، توفي سنة 1140هـ، المصدر نفسه، ج02 ص 327.
- ¹²⁷ هو أبو المواهب الحلبي السبط العرضي الحنفي، نزيل القسطنطينية ، ولد بحلب ، تولى التدريس في عدة مدارس في القسطنطينية منها مدرسة سراي غلطة توفي سنة 1121هـ، المصدر نفسه، ج01 ص ص 69 70 .
- ¹²⁸ المجبي، المصدر السابق، ج04، ص 487.
- ¹²⁹ المرادي، المصدر السابق، ج02، ص 120.
- ¹³⁰ المجبي، المصدر السابق، ج04، ص 487-488.
- ¹³¹ لزغم فوزية، المرجع السابق، ص 310.

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح

- ¹³² هو سليمان بن إسماعيل المحاسني، دمشق، تولى التدريس في الجامع الأموي سنة 1125هـ، كما تولى التدريس في المدرسة السليمية والصالحية، توفي سنة 1135هـ، المرادي، المصدر السابق، ص 313.
- ¹³³ هو إسماعيل بن تاج الدين بن أحمد المحاسني، دمشق الحنفي، ولد سنة 1020 خطيب الجامع الأموي، تولى التدريس في الجامع الأموي والمدرسة الجوهرية توفي في دمشق سنة 1102هـ، المرادي، المصدر السابق، ج01، ص 253.
- ¹³⁴ لزغم فوزية، المرجع السابق ص 313.
- ¹³⁵ هو شهاب الدين أحمد بن محمد النخلي، الشافعي، المكي ولد سنة 1044هـ، بمكة ونشأ بها اخذ عن الشمس البابلي وخير الدين الرملي وعبد العزيز الزمزمي، توفي سنة 1130هـ بمكة، المرادي، المصدر السابق، ج 01 ص 172. الكتاني، المرجع السابق، ص 252.
- ¹³⁶ الكتاني، المصدر السابق ج02، ص 1133-1134.
- ¹³⁷ عمير اوي حميدة : الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسر خلال العهد العثماني، عين مليلة، الجزائر، 2003م، ص 5-6.
- ¹³⁸ نفس المرجع، ص 7.

**The trip and its role in cultural communication between
Algeria and the Arab Mashreq
During the 11th century AH / 17 AD
- Yahya Al-Shawi Al-Miliani's trip in 1096 AH / 1685 AD -**

Dr. Abdelkader REBOUH

Dr.rabouhkader@gmail.com

Abstract:

scientific trips are an important source of knowledge of cultural life and scientific environments - East and Maghreb - where it mentions the most important scientific centers, study boards and collection. It is a true picture of eyewitnesses about the political, cultural, social, economic and geographic conditions of countries. It is abundant enough to translate many scholars whose books have been ignored.

we can also say that the scholars of Algeria, headed by Yahya al-Shawi al-Miliani; represented the pole that drew his knowledge and daring to the attention of the Arab Orient thanks to his intellectual perceptions and his jurisprudential and nodal heritage. He also represents the link between the cities of Mashreq and Maghreb in his cultural and intellectual in The 11th century AH / 17 A

Keywords: Trip, Culture, Communication, Orient, Maghreb, Yahya Chaoui.

الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي... ————— د. عبد القادر ربوح